الأثنينية

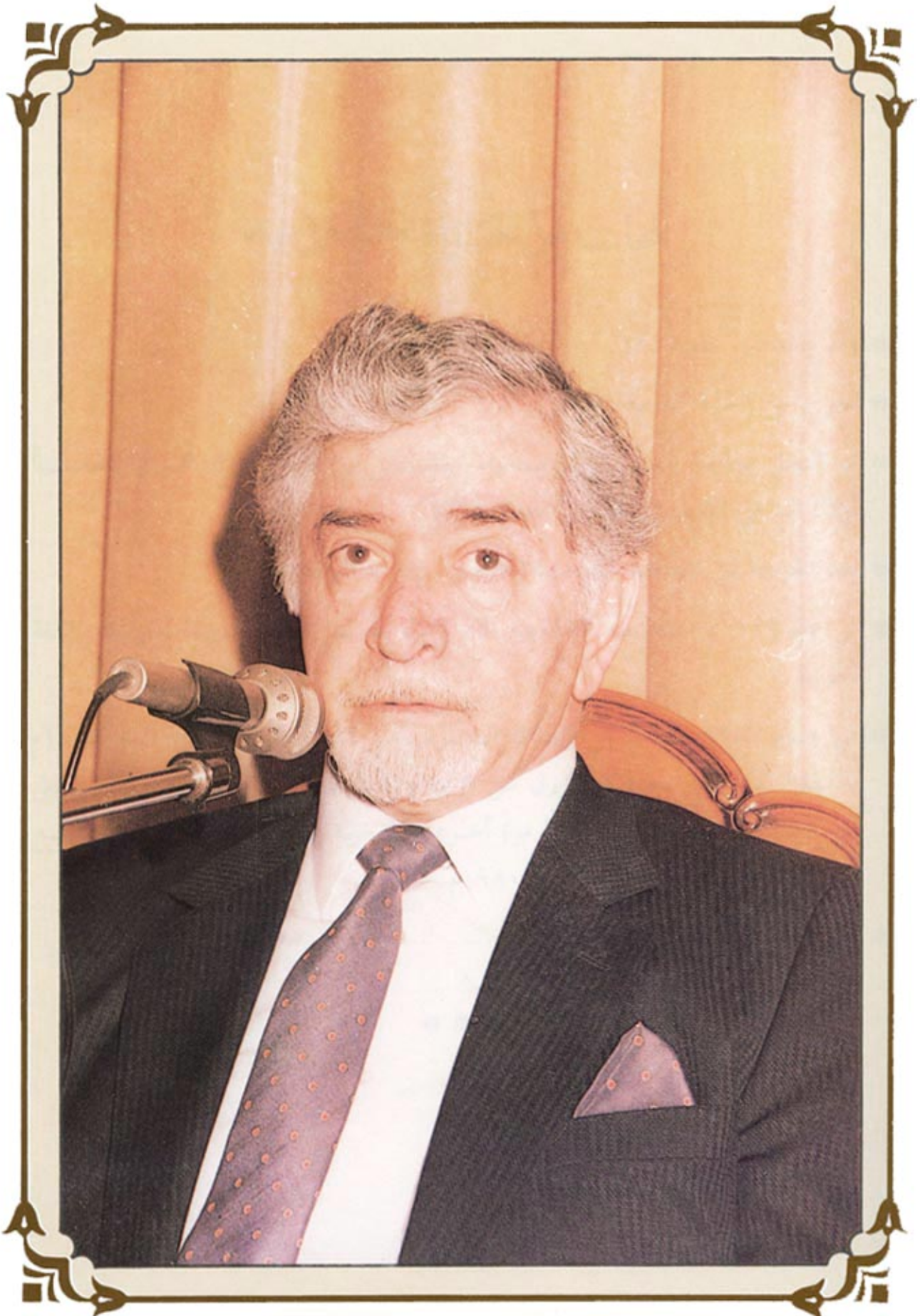
٣٤

حفل تكريم

الأستاذ عيسى خليل صباغ

في ١٤٠٥/٠٦/٢٠ هـ

١٩٨٥/٠٣/١١ م



سعادة الأستاذ عيسى خليل صباغ

المحتوى

١ - لمحات من حياة المحتفى به.
٢ - كلمة الإفتتاح ألقاها الأستاذ حسين نجار.
٣ - كلمة الأستاذ عيسى خليل صباغ.
٤ - كلمة الأستاذ محمد حسين زيدان.
٥ - كلمة الأستاذ عبد الله بلخير.
٦ - كلمة الشاعر السفير حسن عبد الله القرشي.
٧ - كلمة الأستاذ شكيب الأموي.
٨ - كلمة الأستاذ عزيز ضياء.
٩- رد الأستاذ عيسى خليل صباغ.
١٠- تعقيب الأستاذ عبد الله بلخير.
١١- مداخلة الأستاذ عزيز ضياء.
١٢- رد الأستاذ عيسى خليل صباغ.
١٣- سؤال الأستاذ عزيز ضياء ورد الأستاذ عيسى.
١٤- كلمة الأستاذ عبد الكريم نيازي.
١٥- تعليق الأستاذ عبد المقصود خوجه على كلمة الأستاذ عبد الكريم نيازي.
١٦- تعقيب الأستاذ عزيز ضياء.
١٧- ختام الأمسية.

●●●

لمحات من حياة المحتفى به

- **ولد** بفلسطين **عام ١٩١٧.**
- تخرج **من الكلية العربية بالقدس.**
- ثم **التحق** بجامعة **إكستر** في **بريطانيا، وتخصص** في **التاريخ والجغرافيا تخصصاً أولاً،** ثم في **الأدب الإنجليزي تخصصاً ثانياً.**
- **بعد** تخرجه **من الجامعة عام ١٩٤٠ التحق بالإذاعة البريطانية.**
- في **عام ١٩٤٩م استخدمته الخارجية الأمريكية لتأسيس إذاعة صوت أمريكا باللغة العربية.**
- في **عام ١٩٥٧م انضم** إلى **السلك الدبلوماسي الأمريكي، وعين عام ١٩٥٨م بالسفارة الأمريكية** بجدة **كمسؤول عن الإعلام الأمريكي والشؤون الثقافية،** ثم **انتقل** إلى **الكويت عام ١٩٦٤م، وعاد مرةً أخرى** إلى **جدة عام ١٩٧٤م وظل بها سبع سنوات،** ثم **تقاعد عن العمل عام ١٩٨٠م.**
- **بعد تقاعده اشتغل بالأدب والتأليف.**

●●●

حفل التكريم

((كلمة الافتتاح))

افتتح الأستاذ حسين نجار الأمسية بالكلمة التالية:

- بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد بن عبد الله عليه، وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

- أيها الإخوة الحضور باسمكم جميعاً وباسم المحتفي الأستاذ عبد المقصود خوجه، نرحب بضيفنا في هذه الأمسية التي هي حلقة اتصال في سلسلة هذه اللقاءات الخيرة، وفيها من التنويع والتشويق ما يعطينا فرصة نتجول فيها بأفكارنا ووجداننا في الحدائق الوارفة الظلال، والممتلئة بالثمار، وما طاب من الأزهار. وضيفنا في هذه الأمسية علم وعلى رأسه نار، فهو إن أتيت أعبر عن ماهيته في عالم اليوم فقد كانت له إسهامات واضحة في صنع الكلمة وفي تكوين الفكر.

- والإذاعة على ندرتها وشحها في ذلك التاريخ إلا أنها كانت مناط فكر توجيه وتثقيف، فقد كان فارساً من فرسانها، ولعب دوراً في اتجاهاتها وتكوينها في تلك الفترة بكل ما فيها من تقلبات وبكل ما فيها من تحرك.

- أستاذنا وضيفنا هو الأستاذ عيسى خليل صباغ، من مواليد فلسطين عام١٩١٧ م، تخرج من الكلية العربية بالقدس، ثم من جامعة إكستر في بريطانيا. وتخصص في التاريخ والجغرافيا تخصصاً أولاً، ثم في الأدب الإنجليزي تخصصاً ثانياً، ثم التحق بالإذاعة البريطانية BBC سنة ١٩٤٠م، ومارس الإذاعة والتحرير والإخراج، وكان مراسلاً حربياً، ثم معلقاً بعد فترة الحرب على شؤون الأمم المتحدة.

- في عام ١٩٤٩ استخدمته الخارجية الأمريكية لتأسيس إذاعة صوت أمريكا باللغة العربية، في عام ١٩٥٧ انضم إلى السلك الدبلوماسي الأمريكي وكان تعيينه الأول في سنة ٥٨م في جدة كمسؤول عن الإعلام الأمريكي والشؤون الثقافية، ومن المملكة انتقل إلى الكويت ١٩٦٤م وعاد إلى المملكة سنة ١٩٧٤م، وبقي فيها سبع سنوات أخرى تقاعد بعدها عن العمل ١٩٨٠م وعاد إلى أمريكا، وهو منشغل الآن في التأليف وكتابة المذكرات.

- ولعل الجزء الأخير مما يمارسه في حالة التقاعد والاسترخاء هو ما يجعلنا ندلو بدلونا في معينه الذي نرجو أن لا ينضب إلا بعد أن يكتمل ما يتمناه في نفسه.

- نرجو أن يحدثنا ضيفنا في هذه الأمسية الطيبة عن جانب من مواقفه مع الميكروفون، أو مع المناسبات المختلفة، أو في تأسيسه للإذاعات التي أشار إليها، وفي معترك حياته الثقافية التي أنيطت به ردحاً من الزمن... فأهلاً وسهلاً به، وبعد ذلك سيكون الحوار موصولاً إن شاء الله بينكم وبينه لاستجلاء بعض ما غمض مما قال، أو استكناه بعض ما نود معرفته من شخصيته الكبيرة، وأود أيضاً أن أنوه قبل أن أترك الميكروفون إلى أن ضيفنا يوم الاثنين القادم سيكون الشاعر والأديب الأستاذ محمد هاشم رشيد.

- وباسمكم أيضاً وفي هذه المناسبة الطيبة نرحب بوجود ضيف عزيز بيننا هو العالم الفاضل الشيخ الدكتور صلاح الدين المنجد، وباسمكم جميعاً نرحب به لأنه سيكون الضيف بعد القادم في هذه الاثنينية، بعد أن وافق مشكوراً على قبول هذه الدعوة. وباسم المحتفي أرحب بكم جميعاً راجياً أن تكون أمسية ممتعة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

((كلمة المحتفى به الأستاذ عيسى خليل صباغ))

ثم تحدث الأستاذ عيسى خليل صباغ حديثاً فضفاضاً عن سيرته الذاتية فقال:

- الأصول الإذاعية في أيامي كانت تستوجب أن يترك المتحدث ما يقارب بوصتين بينه وبين الميكروفون، أما الآن فالميكروفون كأنما يستطلع جغرافية فمك.

- في البداية أحب أن أقول: إن القلب عندما يكون مليئاً بالمحبة، والعقل مشحوناً بالمودة والرضا الذي منبعه أولاً وقبل كل شيء سبحانه وتعالى، ثم ما يتبع من هذا الرضا بالنسبة إلينا نحن بني البشر الذين أرجو أن أكون مصيباً إذ أقول: إن ذخرنا هو في أصدقائنا. والآن أجد نفسي في هذا المركز المبارك بدعوة من الصديق العزيز الصدوق الأستاذ عبد المقصود خوجه وبين هؤلاء الأعلام.. الأعلام المرفرفة بالإضافة إلى الأعلام الساحقة. كما تعلمون طبعاً أن العلم هو الجبل في أحد معانيه.. فلا أستطيع أن أجاري حضرة السيد الذي افتتح بهذه الكلمة البليغة حيث أعطى الكلمة حقها، وحسبي من كل هذا أن تغفروا لي تقصيري إن أنا شططت بعض الشيء، وعذري سيكون على سني المتقدمة، ما دام حضرة المتكلم قد فضحني بالنسبة إلى الاختبارات، والمحطات، والمطبات في جادة الحياة.

- أنا فعلاً ليس من نقاط ضعفي التواضع، ولكنني أجد نفسي مضطراً إلى أن أكون متواضعاً وأنا بينكم هنا، وأنا جالس بين مؤرخ عجيب، وسارس للتاريخ والشؤون الدبلوماسية أعجب، فبداية حياتي كانت بسيطة جداً، طفل عربي فلسطيني، شحنه أبوه بما سماه بعد (٤٠) سنة تقريباً (٣٠) سنة بالضبط.. الأستاذ الكبير الشيخ عبد الله بلخير بأنه هوس العروبة، فقلت: إن الطيور هنا تشعر بشيء من الطمأنينة ولذلك لا تهاب قدوم الإنسان.

- الشيء الآخر الذي لفت نظري من حيث الممارسة في الحياة الجامعية، هو أن الأستاذ هناك كان بمثابة الزميل للطالب يشجعه على أن يسأل وعلى ما يريد، ولم يتوانَ عن الاعتراف بأن هذا موضوع لعله يكون غريباً عليه ولمن شاء من الطلبة أن ينتظر الأستاذ بعد الحصة للبحث عن الجواب عن ذلك السؤال. فلت في نفسي: هذا نظام جديد مستحب.

- أما التحاقي بالعمل الإذاعي فقد بدأ منذ التحاقي بالإذاعة البريطانية التي بدأت في سنة ١٩٣٨م، وكانت إذاعة ضعيفة، فبعث المسؤولون بها دعوة إلى معظم الجامعات طالبين من رؤسائها تزكية بعض العرب لعله قد نسي هذا ما أدري، وخرجنا من فلسطين رأساً إلى بريطانيا، ولسان حالي يقول:

تغـــرب لا مســـتعظماً غـــير نفســـه ولا قـــابلاً إلا لخالقـــه حكمـــا

- كان والدي رحمه الله ورحم موتاكم دائماً يقول: إن كنت تريد يا ابني أن تشب وينظر إليك على أنك عربي تفاخر بذلك، فليس لك أفضل من القرآن الكريم والمتنبي. ذهبنا إلى بريطانيا لتلقّي العلم، بعض العلم لأن الكامل ليس في حوزة إنسان، ولتحسين اللغة الإنجليزية بصورة خاصة، وهناك وجدنا أن الزملاء في الجامعة وكانوا طبعاً من الإنجليز ومن ويلز ومن خارج بريطانيا ينظرون إلى العرب نظرة متدنية بعض الشيء نظرة مبالغاً فيها، من حيث الوضاعة، بحيث أنهم سألوني أكثر من مرة سؤالاً كانوا يعدونه تقليدياً، متى كانت آخر مرة ركبت فيها الجمل؟ وقلت لهم: لم أركب الجمل في حياتي، ركبت الجواد. ومن فرط ما غمروني بأسئلة شبه سخيفة كهذه، رحت ذات يوم متأخراً عن بداية حصة الجغرافيا هذه، نحو ٥ دقائق فالأستاذ البروفيسور "وودلي" سألني: لم هذا التأخر؟ فقلت له بصوت عالٍ وعلى مسمع من الزملاء والزميلات: سامحني يا أستاذ لأنني لم أجد موضعاً أنيخ فيه جملي.. ولذلك أنفقت هذه الدقائق العشر بحثاً عن مكان مناسب لذلك الجمل، وطبعاً ضحكوا ولم يعودوا إلى ذلك السؤال.

- وأول ما لفت نظري في الحياة العادية في بريطانيا الانطباعات الأولى كثيراً ما تكون صادقة.. هو منظر عصفور صغير، رأيته في طريقي إلى مسكني، كان العصفور يقفز، ويقفز في اتجاهي فلت في نفسي سبحان الله.. العصافير هنا لا تهاب البشر.. في حين أنني كنت مدمناً على رؤية العصافير وهي تتلقّط طائرة.

- الطلبة العرب ممن يأنسون في أنفسهم القدرة على الكتابة أو الإذاعة أو ما يشبه هذا للعمل بالإذاعة، فكنت أنا ممن لبوا هذه الدعوة، وبعثت بنص حديث كتبته وعنوانه الغريب في الغرب، استحسنوا ذلك الحديث وبعثوا في طلبي كي أسجله، ولكنهم غيروا رأيهم وقالوا فلتذعه رأساً على

الهواء، فأذعته، لقي قبولاً لديهم وسألوني إن كنت أذعت في الماضي فأجبتهم أنني لم أر الميكروفون هذا، فاستغربوا بعض الشيء.

- وكان في الحديث بعض النقد بالنسبة للحياة الاجتماعية الإنجليزية كما رايتها في أول الأمر، ولكنهم لم يعترضوا على شيء مما جاء فيه وكانت هذه سياستهم كما تكشفت لي فيما بعد. فالسياسة الإذاعية في بريطانيا أن تكون نسبة الخط الذي نريد أن نذيع عليه سياستنا أو أفكارنا إلى ١,٥ % من كامل الموضوع.

- ومن الطرائف خلال بداية عملي بالإذاعة أن الأخبار يحررها نخبة من المحررين الإنجليز، ثم يبعثون بها إلى القسم العربي لترجمتها وتعطى إلى المذيع المناوب ليلقي نظرة عليها. وكانوا دائماً يلزمون المذيع قبل الدخول إلى الأستوديو بخمس عشرة دقيقة أن يراجع النشرة ويكون إلى جانبه مراقب إنجليزي. ففي المرة أظن العشرين أو الحادية والعشرين مللت هذا الترتيب وقلت في نفسي إما أنهم يطمئنون إلينا أولا يطمئنون، إذا كانوا غير مطمئنين فالسلام عليهم. فقلت لا بد أن أدبر للأستاذ الإنجليزي موقفاً حرجاً كي يعتقوني من مراقبتهم، فجاء الأستاذ المراقب حاملاً نسخة من نشرة الأخبار بالإنجليزية وبيدي نسخة بالعربية، فكلما انتهيت من صفحة قلبتها بالطريقة الإذاعية التي دربت عليها، كيلا نحدث صوتاً. فإذا بالمراقب يقلب صفحته الإنجليزية، مع العلم أن الصفحة العربية ليست بالضرورة مساوية حرفاً بحرف أو سطراً بسطر للصفحة الإنجليزية. وعملت نفس الشيء في الصفحة الثانية، فقلب الصفحة الثانية، فقلبت الثالثة، فقلب الثالثة، عندئذٍ قلت لقد نصب الفخ الآن في منتصف الصفحة الرابعة من غير أن أغير نبرة صوتي، وكان الكلام عن الحرب ونشاط القوات النازية، من غير تغيير في الصوت والنبرة، قلت: وأما أهل جلق فإنهم يؤثرون أكل الجبنة، وخصوصاً الجبنة الكشكواني والجبن الأبيض مع البطيخ، ذلك لأنهم يجدون الفارق بين المالح والحلو.. شيئاً عجباً.. وأما [دوسلدورف] فكانت هي الأخرى في مكانها. وقلبت الصفحة.. فقلب الصفحة، فقلت له باللغة الإنجليزية: اسمح لي يا أستاذ حضرتك لم تكن دقيقاً جداً.. فقال كيف؟ ألم تنته من قراءة الصفحة؟ فأجبته بلى لقد انتهيت من قراءة الصفحة بالعربي، ولكن أين أنت الآن؟ لقد شرحت لك خصائص البطيخ عندما يؤكل مع الجبنة وأن هذا من الأشياء المفضلة لدى أهل دمشق. فأجابني:

- .. إن هذا عمل ليس عدلاً، ولا يجوز لك أن تعمله، فقلت: بل عملته ليكون درساً لك وليكون إنذاراً لكم. إما أن تتركوني أتولى عملي بنفسي، وإما أن تحضروا غيري ليذيع لكم نشرة أخباركم والسلام.

- لقد كانت هذه من نزوات الشباب، ذلك أنه لا يجوز لموظف أن يقوم بحفر مثل هذا الخندق، ولكننا كلنا نخطئ إن كان هذا خطأ.

- وحادثة أخرى ما زلت أذكرها جيداً، فقد وقعت بنا طائرة عندما كنت أؤدي واجبي مندوباً عن الإذاعة البريطانية إلى وزارة الحربية لاستقاء الأخبار وبعد أن اطمأنوا على سلامتي أصروا علي بأن أعدهم ألا أقول حرفاً واحداً عن هذا الحادث لكيلا أعطي السامعين الكرام فكرة عن أن الإنجليز مثلاً يخاطرون بالذين يعملون معهم، ولكن هذا الحادث علمني في حد ذاته أن ربنا سبحانه وتعالى خلق في الإنسان هذه الآلة أو المكنة التي هي حتى الآن أسرع من أي كومبيوتر استنبطه الإنسان.

- ففي تلك الثانية التي رأيت فيها أمنا الأرض كما يسمونها تقترب مني والله رأيت كل فرد من أسرتي، وكل فرد من أصدقائي، رأيت فصاصات من الورق مكتوبة عليها نبذ عن سيرتي المتواضعة إلى آخره. كل هذا في أقل من ثانية.. أقل من ثانية. وعندما ذهبت إلى أمريكا لافتتاح إذاعة صوت أمريكا، وجدت الفارق شاسعاً بين النظام الأمريكي في إدارة الإذاعات والنظام البريطاني.

- فالبريطانيون كانوا متواضعين في طلباتهم مستكفين بأن يكون في المادة ١,٥ % مما يريدون أن يقال، أما الأمريكان فكانوا بطبيعتهم يشمرون عن ساعد الجد أو غير الجد طيلة اليوم. يقولون هذا لا يكفي.. أين سياستنا، ماذا يفيدنا من هذا، ولقد قطعنا سنتين ونحن نحاورهم وحاولنا إقناعهم بأن المستمع العربي أذكى مما يظن أصحاب من يديرون الإذاعات، يكفي أن تقول إن اللبيب من الإشارة يفهم، حتى فهموا ذلك.

- والمهم أننا بقينا نرعى هذا الوليد "إذاعة صوت أمريكا" "الإذاعة العربية" سبع سنوات ونصف سنة وبعدئذٍ استقلت ليس نزقاً ولكني وجدت المسؤول عن إذاعات الشرق كلها كان يريد أن يأمرنا بأن نقول هذا ولا نقول ذاك، وأن نتحدث بهذه الطريقة وليس بتلك، وقد تسبب ذلك في حدوث مناوشات بيننا حتى فاض بي الكيل، وكما يقول المثل العربي "بلغ السيل الزبى" ففي اليوم الأخير من عملي بالإذاعة قلت للمسؤول: إن الدوام الرسمي ينتهي الساعة السادسة مساءً، وأنا بعد ذلك بدقيقتين أكون مستقيلاً بصورة تلقائية. قال: وكيف يكون هذا؟ قلت له: سترى وبالفعل استقلت من الإذاعة، وجاء من قال لي: لعل هذه بأمر من ربنا، فما رأيك في أن تنضم للسلك الدبلوماسي؟ ودخلنا السلك الدبلوماسي وكان من حسن حظي أن أول تعيين لي في هذا السلك كان في جدة.

- لقد كان لي قبل هذا شرف زيارة المملكة سنة ٥١م بدعوة من أرامكو، حيث توجهت إلى الظهران وكان لقاء فعلاً يذكر ويتذكر لا غبار عليه، سوى أن صحيفة لعلها كانت تصدر في البحرين نشرت لي صورة علقت على تلك الصورة بقولها: "الجاسوس الأمريكي يحتفى به في السعودية". المهم القافلة بقيت مستمرة وكان لي ما أسميه فاتحة غرام بيني وبين المملكة، وهو تشرفي بالمثول بين يدي الملك عبد العزيز رحمه الله. وفي تلك الزيارة تعرفت لأول مرة على الأستاذ الشيخ عبد الله بلخير، فقد سهر حتى الصباح وهو ينشد الأشعار، خصوصاً أشعار أهل المهجر.. يطعمني شعراً ويسقيني شعراً. ومن

الأشياء التي سعدت بها بالإضافة إلى تشرفي بمقابلة الملك عبد العزيز يرحمه الله رحمة واسعة أنني كنت ذاهباً من الظهران إلى جدة لكنهم أنزلوني في مطار الرياض، وفي المطار صعد إلى الطائرة من نادى باسمي ثم اصطحبني إلى الصالة في مطار الرياض القديم، وكانت صالة ليست أكبر من هذه الصالة لكن هذه عامرة والحمد لله بوجودكم وكانت تلك خالية، وبعد بضع دقائق تناولت خلالها الشاي والقهوة تم إحضار سيارة تقلني إلى القصر الذي أعد لنزولي فيه. لم يكن في حسباني تلك الأشياء، فقد كانت خطة سيري الظهران جدة، لكن السيد محمد الديب.. قال لي: أنت عندنا بأمر من الشيوخ، قلت له: ومن يكون أولئك الشيوخ المهتمون بأمري.. شخص لا حول له ولا قوة، عابر سبيل؟ فابتسم وقال: الشيوخ يعني الملك عبد العزيز أطال الله عمره، فقلت له: وما المناسبة؟ قال لي: سترى ذلك بنفسك، فتوجهت بصحبته إلى الشيخ يوسف ياسين يرحمه الله، وبعد أن تبادلنا أطراف الحديث الممتع الشيق طلب مني أن أذهب لأستريح من وعثاء السفر. فشكرته على اللفتة الطيبة وإن لم تكن هناك وعثاء سفر بين الظهران والرياض، وأنزلوني بغرفة ذات أربعة أسرة، وبينما كنت على وشك أن أنام للهدوء الذي يملأ الغرفة من قلة الأصوات فإذا بقرع على الباب، فصرخت أدخل فدخل رجل وقال لي: نريد أن نأخذ قياسك.. قلت له: قياسي؟ لماذا هل قررتم أن تدفنوني؟ لكنه شرح لي الهدف بقوله: إن هذه تقاليد تقضي على كل من يرغب أن يحضر مجلس الملك أن يكون مرتدياً اللباس العربي. وتم إحضار ذلك في أقل من نصف ساعة، فارتديت اللباس العربي. وتوجهت بصحبة الأستاذ رشاد ملحس للسلام على جلالة الملك عبد العزيز. فلما دخل وأخذ مكانه في صدر المجلس لا أكتمكم أنني فعلاً رأيت طوداً شامخاً، برغم أنه كان على كرسي، وأقول هنا بفخر واعتزاز: إنني وإن كنت قد أقلعت عن عادة تقبيل يد والدي بطلب منه وإصرار، فقد وجدت نفسي مكباً على يد الملك عبد العزيز يرحمه الله أقبلها لكنه سحب يده، وتمتم برهة ثم قال: والأذن تعشق قبل العين أحياناً، ونحن نحمد الله أننا نراك الآن بعد أن سمعناك، وبعد ثوانٍ من الصمت قال: كيف يعاملك الأمريكيون؟ فأجبته: معاملة طيبة، فقال: "إذا كانت معاملتهم لك ليست حسنة فأعلمني ويكون لي معهم شأن"، هذه كانت بداية غرامي بالمملكة.

- وعندما عدت إلى أمريكا، عدت محملاً بهذا الدم الذي تراكمت فوقه ديون كثر على مر السنين. ثم عدت مرةً أخرى إلى المملكة سنة ١٩٥٨م للعمل بالسفارة الأمريكية كمسؤول عن الثقافة والإعلام، وكان السفير الأمريكي رجلاً طيباً، وقد طلبني بالاسم لأنه كان يعرف محبتي للمملكة، لأنني كنت أعرفه قبل أن يحضر سفيراً للولايات المتحدة بالمملكة العربية السعودية، وذلك خلال إقامتي في بيروت. ولقد تفقدت بعد وصولي مطار جدة حقيبة ملابسي وأمتعتي الأخرى فلم أجدها، وكان السفير على موعد مع سمو الأمير فيصل رحمه الله، إذ كان في ذلك الوقت ولياً للعهد، فاضطررت إلى استعارة بدلة إفرنجية وعند مقابلتي لسمو الأمير ابتسم وقال: هل لك من حاجة فنقضيها لك؟ فأخبرته بأنني

ألبس بدلة مستعارة لعدم حضور حقائبي فقال: إذن عليك أن تلبس الزي السعودي، فقلت له: إذا أمرتم سوكم كل العاملين بالسلك الدبلوماسي أن يلبس الزي السعودي فسأكون في طليعتهم، وقضيت ٧ سنوات في هذا البلد الطيب، كان لي فيها شرف التعرف إلى الكثيرين من حضرات السادة الحاضرين والاستفادة منهم، من أدبهم الجم، من إرشاداتهم السديدة، ثم انتقل عملي إلى الكويت، وأذكر أنني سئلت في المطار عند مغادرتي جدة إلى الكويت عن انطباعي عن العمران بجدة فأجبت: بأنه سيتجه شمالاً وقد يصل أو يتعدى مصنع الإسمنت، فقوبل جوابي بالدهشة والاستغراب، ولكني لما عدت بعد عشر سنوات من مغادرتي وجدت أن العمران قد تجاوز مصنع الإسمنت وتحقق حدسي، وعودتي للمملكة في المرة الثانية كانت تلبية لإشارة من الملك فيصل يرحمه الله أشار بها إلى السفير جيمس إيكنز المعين حديثاً بالسفارة، وذلك عند بداية الحركات المكوكية للأستاذ كيسنجر التي حرصت على أن أؤديها، بكل أمانة وإخلاص لا أقول خدمة، بل طواعية مني واختياراً وحرصاً على صالح التفاهم بين الطرفين، وقد زودت كيسنجر بكل المعلومات التي يحتاج إليها ولا أقول زودته بها على سبيل الإرشادات بل إجابات عن بعض التساؤلات، عن الشخصيات التي سيقابلهم، والحق أنه كان تلميذاً فطناً. ولقد سمعت كثيراً من الأقاويل والإشاعات التي روجها بعض الإخوة خلال المنافشات التي دارت بين الملك فيصل وكيسنجر، ومن ذلك أنه حدث ذات يوم سوء تفاهم بينهما نتج عنه خروج كيسنجر غاضباً، لكني أشهد الله أنه لم يصل إلى علمي شيء من هذا القبيل.

- كل الذي عرفته أن الأستاذ كسينجر إذا فتح باباً بغية تليين الموقف السعودي يلجأ الملك فيصل رحمه الله إلى قفله، ويحاول فتح شباك أو كوة لإتاحة الفرصة لمواصلة الحوار، ففي إحدى المرات قال لي أمام مجموعة من الأفراد: إن الملك فيصل شرفني بأن سماني ابن آدم، أي جعلني من بني البشر. وأستبعد أن يكون قد ذكر هذه العبارة على سبيل التهكم والسخرية، ولكن سوء فهم المعنى من كيسنجر لعبارة يا ابن آدم بدليل سؤاله في آخر مقولته وهو "أليس كذلك يا عيسى؟" فقلت له: لا، لم يقصد الملك فيصل من كلمة يا ابن آدم ما توهمته، وإنما قال لك الملك ذلك مرحباً بك بوصفك مثلاً لدولة صديقة، بوصفك وزيراً للخارجية لتلك الدولة الصديقة، وإنه لم يلق بالاً إن كنت يهودياً أو غير يهودي. هذا لم يدخل في تفكيره فأنت هنا في ذلك المنصب مثلاً ذلك التمثيل وأنت هنا جالس فبالتي إنساناً يجلس فبالة إنسان، أنت بشر وأنا بشر. وخلال محادثات كيسنجر مع الملك فيصل رحمة الله عليه، عودت الأستاذ كيسنجر على أن يتلقى كل يوم مني مثلاً واحداً أو حكمة عربية أو شيئاً من هذا. وفي اليوم الذي ظننت أنه قد استكفى لم أعطه مثلاً أو قولاً مشهوراً، فقال: يا فلان ما هو المثل اليوم أو القول اليوم الذي تفيدني به، فقلت له: هناك قول أتذكره هو "حبل الكذب قصير"، فقال: ما الذي تعني بهذا؟ هل تعني أنني مولع بالكذب؟ فلت له: هذا تفسيرك أنت وأنت تتحمل وزره، وإنما

طلبت قولاً أو مثلاً فزودتك بهذا القول، وهو قول مأثور معروف، ولست مخترعه. فقال: عجيب، الأقوال العربية هذه عجيبة، قلت له: إنك لم تسمع إلا القليل القليل مما تزخر به لغتنا العربية وتحفظه كتبنا وهنا مثل يقول: إن كنت كذوباً فكن ذكوراً. فقال: لغتكم تصويرية عجيبة، قلت له: نعم هي كذلك.

- ثم تقاعدت بعد بلوغي سن الستين وتمديد خدماتي بعد ذلك لفترتين متتاليتين وعدت إلى واشنطن وأنشأت منظمةً سميتها "وجهة نظر" تعنى بإجراء دراسات جادة بالنسبة إلى البرامج التي يستحسن أن توضع أمام المشاهدين والسامعين والقراء في الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة للعرب، وخلفية العرب كما تسمى، والعالم الإسلامي.

- وإذا كان بعض الناس يحزمون حقائبهم خلال فصل الصيف خاصة ويتوجهون إلى مدينة "كان" ليروحوا عن أنفسهم ويريحوا أعصابهم، فأنا والله قد أرحت أعصابي هذه الليلة لأنني التقيت بعد عشرين سنة أو تزيد بالأستاذ عبد المقصود خوجه وما أكرمه، ويا ليت هذه الندوات تعقد في كان وفي غير كان، لما ينجم منها من فوائد جمة يستمتع بها مرتادوها من ناحية أخرى.. وفي مجالات كثيرة. لن أسمح لنفسي أن أنتقد أو أبدي ملاحظات على الإعلام العربي الذي أسميته في الماضي إعلاماً محنطاً، لكنه الآن قد أفاق وهو في طريقه إلى الاتجاه الصحيح إن شاء الله لكن الزمن لا يرحم. فلو أفاق العرب قبل ٥٠ أو ٦٠ سنة لاستطاعوا أن يعملوا أشياء كثيرة.

- ولقد سعدنا في الولايات المتحدة بزيارة جلالة الملك فهد أيده الله، ولقد كانت زيارة موفقة لأنها عملت على فتح نافذة إلى أذهان الأمريكيين، وبصفة خاصة ذهن الأستاذ ريجان.

- وهذه يا سادتي هي سيرتي المتواضعة من الألف إلى ما قبل الياء، لأن الياء معناه الختام، ونشكر لحسن إصغائكم. وشكراً.

((كلمة الأستاذ محمد حسين زيدان))

ثم أعطيت الكلمة لمهندس الكلمة الأستاذ محمد حسين زيدان فقال:

- بسم الله الرحمن الرحيم "والأذن تعشق قبل العين أحياناً"[1] قد عشقت عيسى خليل صباغ وأنا أسمع الرنين من جرسه في اللغة الشاعرة، يوم كان مذيعاً في لندن، فاللغة العربية ألفاظ وقواعد،

---

[1] هذا عجز بيت من الشعر للشاعر العباسي بشا ربن برد، صدره:

يـــا قـــوم أذني لـــبعض الحـــي عاشـــقة والأذن تعشـــق قـــبل العـــين أحـــيانا

ولكن حليتها وزخرفها في حسن الأداء، وكان عيسى خليل صباغ من أحسن من سمعت مؤدياً لهذه اللغة الشاعرة.

- أحببته سماعاً حتى إذا لقيته هنا أصبحنا صديقين، وفي الكويت بذل لي من صدافته أيضاً ما أعتز به وأشكره عليه.

- الأداء في اللغة العربية طرب، وعيسى خليل كان مطرباً، كان موسيقياً، كأنما يتغنى باللفظ العربي، تسمع جرسه فيطربك لم يكن وحده، كان هناك محمد فتحي كروان الإذاعة المصرية، أو أحمد فتحي شاعر الكرنك إذا سمعتهم يتحدثون أحسست بنشوة الطرب تمتلك حواسي.

- أول ما سمعت من حسن الأداء في المدينة المنورة قبل أكثر من ٥٠ عاماً. عندما أقصي ملك الأفغان أمان الله يرحمه الله زار المملكة وجاء إلى المدينة ونزل في ساحة بيت هاشم، وكان المرافق له السيد عبد الوهاب نائب الحرم أبو أحمد، فلما زرناه ومعي عبد الحي نقشبندي، وعثمان حافظ وآخرون.. فجاء ليستقبلنا ويجلس معنا وكان رجلاً طوالاً، لا بس عِمةٍ أفغانية، فإذا بعبد الحق نقشبندي يرحمه الله يسأله وقد كانت مجلة الفتح تشن الغارة على الأفغان، بإيعاز من صادق المجددي وأمثاله الذين ثاروا عليه.. فسأله ما بال الملكة ثريا تقبل الشبان؟ فإذا بي أسمع الجرس الأغن من هذا الأفغاني يقول: كأنما هي لام عواذل، ثريا أنا خالها لم تقبل شباناً، وإنما قبلت بنيها، نحن خرجنا من الأفغان وليس فيه من كان ذليلاً منا، سألت شكيب أرسلان ما بال الملك علي يرحمه الله، يترك الناس يقبلون يده، فقال لي: إنه ابن بنت النبي قلت، وهل كان النبي يسمح لأحد أن يقبل يده، ألم تقرأ لي مقالاً في القبس إنكم تحملون على الأفغان لأنهم يلبسون القبعة، في حين أنكم تلبسون الطربوش، أتدرون ما الفرق بين الطربوش والقبعة، الطربوش لم يكن عربياً إنه لباس نمساوي، ولكن القبعة عربية لا يزال أهل اليمن يلبسونها، يتقون بها حرارة الشمس، عواء الكلاب عوت علينا فأقصتنا، كان ينطق بذلك بفصاحة لا أعرفها، لعلها تفوق فصاحة عيسى خليل صباغ وأحمد فتحي. وسألته هل أنت أفغاني قال: لا أنا سوري، ألا تعرفون أن ثريا أبوها محمود طرزي باشا أفغاني أصبح دمشقياً فنشأت في دمشق بنت محمود طرزي باشا تزوجها أمان الله خان. ومن حيث حسن الأداء لا تنسوا أداء طه حسين، وأداء محمد رفعت، ذكرني بهم جميعاً عيسى خليل صباغ، صادقته وصادقني وبيننا أشياء لعلي إن لم أخف أنشرها في الذكريات. أنا أهنئ حفلنا بزيارة الصديق عيسى خليل الصباغ. لقد صبغ اللغة العربية بجرسه الرنين وتفوقه، لم أسمع مذيعاً يحرص على عدم اللحن صرفاً إلا عيسى خليل صباغ.. لأن اللغة لا تفهم إلا ببنية الكلمة، بالأمس كدت أخطئ، سمعت في برنامج عبد الله بن خميس شطراً من بيت لجميل بثينة يقول:

- لم يرد أن يحبنا (قالها هكذا..) بفتح الياء وكسر الراء فصرخت: يا ابن خميس، لماذا لم يقل لم يرد بضم الياء وكسر الراء؟ ثم فطنت إلى أن نفي الإرادة كما أردتها معناه إسقاط للغزل وإسقاط للإبداع، وإنما أرادت هي الورود، من ورد يرد ويصبح معنى الجملة لم يرد إلى المنبع ليحبنا وتلك هي الغزل وهي الشعر، أداها ابن خميس أداءً لم يلحن في الصرف، وهكذا كان عيسى خليل صباغ يؤدي اللغة العربية لا يلحن نحواً، ولا يخطئ صرفاً.. سلامي إليه، والسلام عليكم ورحمة الله.

((كلمة معالي الشيخ عبد الله بلخير))

ثم تحدث معالي الشيخ عبد الله بلخير مشاركةً منه في الاحتفاء بضيف الاثنينية فقال:

- كما ذكر الأستاذ عيسى خليل صباغ أن الإذاعة البريطانية باللغة العربية قد بدأت في سنة ١٩٣٨م، كنت وقتئذٍ طالباً في بيروت وسمعت أنها ستفتتح، وأن من المشاركين في افتتاحها سفير المملكة العربية السعودية الدائم في تلك الأيام الشيخ حافظ وهبة، فتحريت مكاناً أجد فيه مذياعاً خارج حرم الكلية التي كنت منتظماً فيها، وعرفت من الحلاق الذي كنت أتردد عليه أن لديه مذياعاً فذهبت في الوقت الذي حدد لابتداء الإذاعة إليه وطلبت منه أن يحلق لي شعر رأسي لأتمكن من الاستماع. ولو لم أفعل هذه الحيلة لسمح لي بأن أستمع، فقد كان رجلاً طيباً أرمنياً. ولقد استمتعت بسماع وقائع الافتتاح ولا أزال أتذكر تلك الساعة ومن تكلم فيها، فكان منهم الشيخ حافظ وهبة عن المملكة العربية السعودية، وأحد أمراء اليمن، ومندوب عن لبنان وآخر عن سوريا وغيرهم، لكني لم أسمع فيها صوت الأستاذ عيسى خليل صباغ لأنه لم يصل بعد إلى لندن، ومرت الأيام ورجعنا بعد ذلك في عام ٤٠ إلى المملكة العربية السعودية، وقُدر لي كما هو معروف أن ألتحق بالديوان الملكي لأكون مسجلاً ومستمعاً للإذاعات العربية الأجنبية في ديوان الملك لأتلوها عليه في كل يوم ثلاث مرات.

- وهناك كلفت أنا بإذاعات المحور ومنذ الساعة التي التحقت فيها بالعمل بديوان الملك عبد العزيز، طلب مني الملك أن أتولى مسؤولية الاستماع إلى إذاعات المحور، فكان شغلي الشاغل الاستماع إلى إذاعة برلين، تبدأ البث في الصباح بقراءة القرآن الجميلة من الأستاذ السعدني، لا أزال أتذكر صوته الجميل، وبعد ذلك طبعاً في الظهر، ثم تأتي ثلاث إذاعات في المساء حتى تكمل بعد ذلك خمس إذاعات. وكنت أستمع إليها استماعاً كاملاً بوساطة المذياع الذي يعمل بوساطة بطاريات السيارات، وكان لدينا جهاز خاص لتعبئة تلك (البطاريات) بالطاقة التي تمكننا من الاستماع بوضوح. وقد بدأنا بالاستماع إلى الإذاعات الألمانية في سنة ٤٠ سنة ٤١، وكان معظم الناس في العالم متعلقين بالشيخ هتلر، ومعجبين بيونس البحري، وكنت أحد أولئك. وقد سبق لي شخصياً أن تعرفت عليه عندما جاء إلى المملكة وفي

الليلة التي هرب فيها من بغداد، ملتحفاً بإذاعة برلين سنة ١٩٣٩م لأن حكومة العراق في ذلك الوقت قالت إن يونس البحري الذي أثار الناس في الموصل بعد مقتل الملك غازي، فاعتدوا على القنصل البريطاني وقتلوه، لقد ساعده على الهروب السفير الألماني الشهير في بغداد تلك الأيام الهر جروبا، وهو أحد أعمدة السلك السياسي الألماني قبل الحرب في العالم العربي، وبوصوله إلى ألمانيا استلم مذياع برلين بصوته الجهوري الذي يعرفه طبعاً الشيوخ في هذا المجلس وقد لا يعرفه الشباب، وكان فصيحاً وكان زنديقاً، وكان مذيعاً متهكماً، وقد استقطب جيش هتلر في تلك الأيام العالم العربي لقوته.

- فقد انساح في أوروبا كلها، استولى على أعظم دولة قوية في البر في تلك الأيام وهي فرنسا في ١٤ يوماً، وأتى على لوكسمبرج، وأتى على بلجيكا وهولندا في ٣ أيام، وعلى بولندا في أسبوعين، وعلى.. إلخ.. إلخ فكان العالم كله مع هذا السيل المتدفق والطوفان الصخاب الذي لا يأتي على شيء، إلا وقضى عليه. وكنت أسجل الأخبار التي أسمعها خطياً على الورق لعدم وجود أجهزة تسجيل في ذلك الوقت، وقد نجم عن ذلك فساد خطي بعد أن كان جميلاً. وقلت للأستاذ الزيدان ذلك ذات ليلة فقال رأساً: إذا كانت الإذاعة قد أفسدت خطك، فقد أحسنت حظك، حتى أصبحت الآن لا أعرف أن أقرأ ما أكتب. وفي تلك الفترة التي ملك فيها يونس بحري آذان المستمعين من العالم العربي ومشاعرهم، بما يذيعه بصوته الجهوري من أخبار الجيش الألماني بزغ في إذاعة لندن ثلاثة كواكب يأتي في طليعتهم المحتفى به الأستاذ عيسى خليل صباغ، وأما الثاني فمحمد الغزاوي، والثالث هو أحمد كمال سرور. وكنا نتعاقب الاستماع إليهم، فكلما أذاعوا شيئاً يرد عليهم يونس بحري من إذاعة برلين رداً قاسياً، ويعمل فيهم ما لا يعمل الحداد في السندان الأحمر الذي يضرب عليه بين يديه، وكنا نفرح، ونشمت كيف يستطيع هؤلاء أن يصنعوا من الفسيخ شربات، وما الذي سيقولونه للعالم العربي، والعالم العربي بأسره ضدهم وكلهم مع يونس بحري ومع هتلر، ومع هذا السيل العرم من القوات؟ وكانوا ثابتين في مواقعهم ثبات صخرة جبل طارق، وفي كل مساء بعد أن يعلن يونس بحري البلاغ الرسمي ويلقي تعليقه على الأخبار، أقول في نفسي ما الذي سيقوله مذيعو لندن، وما هي إلا لحظات حتى يأتي الرد الرصين بلسان عيسى خليل صباغ محللاً لتلك الأخبار.

- في عام ٤٣ كنت مع الملك فيصل ومع الملك خالد رحمهما الله في زيارة للولايات المتحدة، ثم عدنا بعدها مباشرة إلى لندن في زيارة رسمية لبريطانيا، وكانت الحرب في أشد أدوارها، وكانت الطائرات الألمانية تغزو إنجلترا ولندن بالذات، ٧ أو ٨ مرات في كل ٢٤ ساعة، وبدأ ما يسمى الطائرات الموجهة بدون طيارين، وكانت الدنيا مقشعرة لكني شخصياً كنت فرحاً لوجودي بلندن، فرحاً لأنني قررت الالتقاء بالفرسان الثلاثة وهم: الأستاذ صباغ، والأستاذ الغزاوي، والأستاذ أحمد كمال سرور لأني أنا أمشي معهم كل يوم وأسمعهم، وأتعرف عليهم.

- وفي تلك الزيارة التي رافقت فيها الملك فيصل والملك خالد تغمدهما الله برحمته زرت بصحبتهما محطة ووترلو المشهورة، ووجدنا الناس يقبل بعضهم بعضاً، ويهنئ بعضهم بعضاً لإضاءة أنوار المحطة مولعة إكراماً للملك فيصل. وبين المستقبلين للملك فيصل والملك خالد لمحت السيد عيسى خليل صباغ مندوباً من قبل إذاعة BBC ولما كانت تلك هي المرة الأولى التي أراه فيها، أسرعت إليه وعرفته بنفسي.

- ثم ذهبنا بعد ذلك لزيارة إلى BBC في زيارة رسمية مع الملك فيصل، واستقبلنا البروفيسور (Gibb) وأساتذة اللغة العربية وأعمدة الإذاعة البريطانية، وكان من حسن الحظ أن مبنى إذاعة BBC لم يصب بأذى. وبعد زيارة الملك فيصل للإذاعة البريطانية سئل عدة أسئلة أجاب عليها بحكمته ولباقته، وعندما سألوه عن مدى كيفية تلقّي العالم العربي، لإذاعتهم ومذيعيهم قال لهم: اسألوا عبد الله، فسألني البروفيسور جب بقوله: ما رأيك في مذيعينا؟ فأجبته: إن فرسانكم الثلاثة الصباغ، والغزاوي، وسرور صنعوا لكم من الفسيخ شربات، وإن هؤلاء يسبحون ضد التيار، فرد علي باعتزاز قائلاً: ولكننا سنصل إلى الهدف. فقلت له: هذه أحلام يقظة.

- وعندما جاء الأستاذ عيسى بعد ذلك إلى السعودية وكنت معه كثيراً أخرج فيلماً عن الملك عبد العزيز وعن المَصمك، وكيف فتح الرياض، وبذل فيه جهداً كبيراً ثم تلاقينا مرات كثيرة. في الختام أرحب بالأستاذ الصديق العزيز وأهلاً وسهلاً به.

((كلمة الأستاذ حسن عبد الله القرشي))

ثم أعطيت الكلمة للأستاذ الأديب الشاعر السفير حسن عبد الله القرشي فقال:

- بسم الله الرحمن الرحيم، الحقيقة أنني في موقف شبه غريب، فبعد هذه الأصوات الرنانة، وبعد أن تكلم البليغان الكبيران الأستاذ محمد حسين زيدان والشاعر العظيم العبقري الصديق الشيخ عبد الله بلخير.. ماذا أقول؟ ولكنني سعيد كل السعادة أن أحضر هذا الحفل، ولو أنني أتيت البارحة فقط، فحينما سمعت وقرأت أن صديقنا العملاق الأستاذ الكبير عيسى خليل صباغ هو المكرم في الاثنينية سارعت بالمجيء على غير انتظار من أحد وعلى غير انتظار من صديقنا الأستاذ عبد المقصود خوجه، ذلك لأنني أولاً عرفت الأستاذ عيسى قبل أن أراه، عرفته سماعاً كما عرفتموه جميعاً وإذا كنت قد عرفته كما قال الشريف الرضي:

فـ ـاتني أن أرى الـ ـديار بعـ ـيني فلعلـ ـي أرى الـ ـديار بسـ ـمعي

- فقد حسن حظي والتقيت به في حفل أقامته الإذاعة السعودية في مقدمه الأول الذي روى لنا شيئاً من ذكرياته، والذي التقى فيه بعاهل الجزيرة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله.

- في ذلك الحفل حييته بأبيات قصار، ولحسن حظي لقيت هذه الأبيات أمامي الليلة، فأحببت أن أعيد هذه الذكريات، وقد كتبت بعد اللقاء كليمة قصيرة في إحدى جرائدنا.. لا أذكر ما هي ولكن إذا سمحتم لي سأورد، ما كتبته بعنوان: مع "عيسى خليل صباغ".

- هل وصل إلى سمعك أيها القارئ الكريم صوت ندي قوي مرنان متجاوب الأصداء، يحمله الأثير من أقاصي الأرض، من ضفاف "التايمز" آناً، ومن ضفاف "السين" حيناً، ومن سواحل أمريكا طوراً، ومن بلاد العروبة تارةً، فيملأ روحك نشوةً وقلبك جذلاً، ونفسك طرباً، صوت ثري اللمحات سحري المقاطع، متألق النبرات، مليء العبارات. إن يكن قد بلغك ذلك فهو بلا ريب صوت عربي يذيع بأفصح اللغات وأكرمها في أروع بيان وأعذب لسان، إنه صوت المذيع العربي الأول عيسى خليل صباغ والذي يسمونه في أمريكا "أمير المذياع أو بالأصح أمير الميكروفون"، وقد كان حظنا في الأيام القلائل التي قد مضت أن سعدنا بأويقات قضيناها معه في زيارته الخاطفة كضيف عزيز كريم، إن غلها القصر فقد أترعها الحبور، إن عيسى فنان ككل فنان تتجهم مقتبله لحيائه وانطوائه وربما لاعتزازه وإبائه، فإذا أقبل عليك، وأقبلت عليه، وأخذت من محضره بنصيب ومن معشره بصلة تكشفت لك منه نفس عذبة ودود، وطبيعة سمحة أصيلة، ولسان ذرب مدرب يعرف كيف يسحر ألباب الملايين من مستمعيه المحبين.

- وصوت عيسى في الحديث كصوته حين يحتشد للإذاعة، ويرسله منطلقاً دفاقاً عبر الأثير، يروعك جوهره، ويمتعك رنينه، كرمته الإذاعة السعودية فحييته في حفلها بالقصيدة التالية:

يـا هـزاراً شـدا بـه كـل سامر ... واشـرأبت لـه المـنى والخواطـر
عبقـري الألحـان يصـدح في ... الغرب فيسري صداه في الشرق زاهر
في بـيان مسلسـل عبقـري ... وحـديث عـذب التـرانيم سـاحر
يـتهدى الفصـحى أرق معانـيها ... مشـيداً لمجـدها متفاخـر
مـرحباً أن أراك في مهـدها ... الأسمـى وأهـلاً بكابـر أي كابـر
صـوتك الفـذ كـم أثـار حنـيني ... وسـرى هـادراً يهـز المشـاعر
يجتبـيه الأثـير هـيمان مـا ... شـاء ويهديـه كالـربيع المباكـر
فـيه سـر الأجـيال مـن أمـة ... العرب وفيه لمـح القـرون الزواهـر
نغـم متـرع الصـفاء رفـيع ... تصـطفيه خوافـق وضـمائر
أيـن مـنه بلابـل الـروض تشدو ... والقمـاري صـادحات سـواحر
هـو نـبع مـن الخلـود ثـري ... أو تـراه في النجـر رقـة شـاعر

ابن عيسى حللت ما بين صحبي كلهم معجب بفضلك ذاكر
فتقبل منا التحايا جميعاً والأناشيد حفلاً والبشائر

- ثم عرفت بعد ذلك في عيسى خليل صباغ شاعراً رفيق المعاني، حيث أنشدني من شعره الأبيات العاطفية الآتية التي فرضها غداة يوم الاحتفال به، وهذا منذ ٣٠ عاماً.

ليس يجدي البكا بدمع المآقي لا ولو خلت أن تخلف باق
زفرات أرسلتها ملء جفني فغابت عن أدمع العشاق
سكر الناس من طلا بكؤوس متدرعات للهم كالترياق
وهجرت المدام لكن قلبي نهل الحب مذْ رآك السافي
فغدا ينتشي وكنت كريماً لا يبالي ما في غدٍ قد يلاقي

- وبعد فلئن كان عيسى خليل صباغ إذاعياً كبيراً ممتازاً، فإنه كذلك لأديب معلم، ولئن كرمته الإذاعة فإن سفره المعجل لن يمكن الأدباء من تكريمه ولو طال مقامه لطال الاحتفاء به وزاد إكرامه. وحمداً لله أن حقق الآمال، فها هو ذا الأستاذ الكبير عيسى خليل صباغ بيننا مكرماً، وقد سبق هذا تكريم كثير. وفي الحقيقة أنه قد اتصلت بعد ذلك فيما بيننا الأواصر وتوثقت الوشائج، فأصبحت بيننا صلات حميمة وصلات عائلية أيضاً.

- الأستاذ عيسى كما قلت رجل حيي، ومن مواقفه التاريخية التي سمعتها وأذكرها قبل أن أعرفه، موقفه حينما تركت بريطانيا فلسطين في عام ٤٨، وكنت أستمع إلى إذاعة الـ BBC وافتتح الأخبار عبقرينا المذيع عيسى، وكانت كلمته ناراً ودماراً، وكان صوته نديا بالدمع وهو يقول: خرجت بريطانيا من فلسطين بعد أن تركتها مزقاً وأشلاءً، بعد أن أنشبت فيها أظافر الصهيونية، وطبعاً قال كلاماً كثيراً بليغاً لا أذكر منه شيئاً الآن، ولكن في مضمونه ومحتواه هو شيء كثير من بعض ما ذكرت.

- ومن مواقفه الإذاعية الجميلة والتاريخية أيضاً يوم مصرع الملك عبد الله بن الحسين رحمهما الله، فإذا بنا نستمع ليلة هذا المصرع إلى مجموعة منتقاة من أبيات الشعر العربي الأصيل الرفيعة في وصف الجلال الصريع والملك القتيل، يهز كل مقطع منها قلب المستمع، ويؤثر في نفسه، وأتذكر أن هذا الموقف من الصديق عيسى، كان قد عادني في وفاة جلالة عاهل العروبة الملك فيصل بن عبد العزيز، فنسجت على منواله وأوردت كثيراً من الأبيات، غير ما أورده الأستاذ عيسى. والشعر العربي غني بالشوارد والنوادر، ولكنني حتى الآن أرجو من الصديق أن يمدنا بهذه المختارات الرائعة المنتقاة مما انتقاه في هذه المناسبة الحافلة. إن مواقف عيسى القومية لا تعد. وأخشى أن أطيل وأنتم جميعاً الآن متحفزون بعد سماع هذه الأحاديث إلى أن نحتفي بعيسى فوق موائد الطعام، بعد أن احتفينا به في موائد الكلام.

((كلمة الأستاذ شكيب الأموي))

ثم تحدث **الأستاذ شكيب الأموي فقال:**

- الأستاذ عبد المقصود خوجه.. الأستاذ عيسى خليل صباغ.. سادتي.. وإخواني.. مشوارنا مع عيسى خليل صباغ، مشوار طويل وعريض.. أولاً وقبل كل شيء يجب أن تعرفوا شيئاً عن آل صباغ، آل صباغ من صفد من بلدي هم من زعماء حارة النصارى، اشتركوا مع المسلمين في كل معركة من معارك صفد ضد اليهود، لم **يكونوا سلبيين فط بل كانوا إيجابيين** في المقدمة في **كل ما يختص بمعركتنا الكبرى ضد اليهود منذ عام ١٩١٧** حتى **يومنا هذا، أي منذ ٦٨ سنة. ألم يسمع أحد منكم بحسيب الصباغ مثلاً ابن عم الأخ عيسى؟ إنه عنصر فعال** في **كل حركة وطنية منذ نشأت المنظمة** حتى **الآن، وهو بذال لا بالمئات ولا بالألوف بل بالملايين، هو مع كل خطوة يخطوها عبد المجيد شومان، ولست بمعرفكم من هو عبد المجيد شومان، فكل واحد منكم يعرفه أو يعرف أباه عبد الحميد شومان** رحمه الله **مؤسس البنوك العربية** في جميع **أنحاء العالم، وهو من الصامدين على تعسف وإرهاب الإنجليز قبل اليهود** في **فلسطين، وهو البذال** في **كل مناسبة لمصلحة الصمود والمقاومة والقتال** في **سبيل استرجاع القدس وفلسطين.**

- جاء عبد المجيد شومان إلى **جدة قبل أقل من سنتين ومعه نائبه وعضده وساعده حسيب صباغ، وكانت الغاية من مجيئهما وتطوافهما** في **البلاد العربية هو جمع المال من الفلسطينيين لعمل لوبي عربي** في **أمريكا مقابل اللوبي اليهودي، تبرع حسيب وزملاؤه المناضلون** في **سبيل قضية وطنهم، كل واحد منهم بمليون دولار، وجمعوا من أفراد الشعب الفلسطيني المقيمين بالمملكة حوالي مليون دولار، وكانت خطة هؤلاء الزمرة الفدائية - وأستطيع أن أسميها فدائية بملء فمي - أن يجمعوا ٢٥ مليون دولار وقد جمعوها بالفعل. وبدأت مكاتبهم تعمل بجد وعرق** في **بوسطن، وفي لندن وفي جنيف، وفي أمهات بلدان العالم. وفي العام المنصرم عقد اجتماع للمتبرعين** في **جنيف دعي إليه كل من دفع مائة ألف دولار أو أكثر، وقدموا تقاريرهم عن أعمالهم** في **مختلف بلاد الدنيا. وحضر الاجتماع خيرة الفلسطينيين** في **أمريكا مثل إبراهيم أبو لغد، وليد الخالدي، هشام شرابي، وغيرهم، وألقوا محاضرات وأجابوا على الأسئلة التي تدور برأس كل منا. إنها أول خطوة** في **رحلة الألف ميل. أما الهدف الثاني من ذلك الاجتماع فهو جمع (١٠٠,٠٠٠,٠٠٠) مائة مليون دولار للغاية نفسها، وقد تواجدت** في **عمان** في **الصيف المنصرم وإذا ببطاقة من حسيب صباغ يدعوني ضمن من دعا إلى اجتماع عقد** في **الأنتركونتيننتال، حضرت جانباً بسيطاً منها لأنني كنت على سفر إلى جدة، وكان هو مدعواً مع عبد المجيد شومان إلى القصر لمقابلة الملك حسين، للتباحث** في **قضية فلسطين. ولا يقتصر الأمر على حسيب**

صباغ فقط، فمن يعرف حسيباً فلابد وأن يتعرف إلى من وراء حسيب، ومن أولئك شقيقته سعاد الفتاة العظيمة التي أربت على الستين ولكنها لا تزال تتأجج حماساً، وتتدفق وطنية وإفداماً لكل عمل فدائي وواجب وطني، هذه الشقيقة وهبت نفسها للعمل الوطني ورفضت الزواج إلا من واجبها الوطني، إلا من فلسطين، وأقسم أنها كانت متقيدة بتعاليم الدين الإسلامي من حيث الاحتجاب، وملتزمة بالتقاليد والأعراف والعادات الصفدية القديمة.

- هذه لمحة عاجلة عن آل صباغ، أما عيسى الحبيب فكان أول لقاء تم بيني وبينه في لندن، وكنت مع بعثة الهيئة العربية العليا التي كان يرأسها الحاج أمين الحسيني رحمه الله، وقد أرسلني عبد الله السليمان يرحمه الله وزير المالية العظيم، وكانت البعثة برئاسة عز الدين الشوا رحمه الله للدعاية لقضية فلسطين في لندن عام ١٩٤٧م، ولا داعي لأن أكرر ما كتبته بالأمس في صحيفة الندوة عن هذه البعثة، وعن رغبة الكثير من الإنجليز ومن اللاجئين البولنديين في التطوع للجهاد في سبيل إنقاذ فلسطين من أيدي اليهود. وقد مكثنا في لندن لهذه الغاية ستة أشهر تقريباً.

- ومن هنا بدأت التعرف إليه عن كثب، وكان يدعوني ومنير شما إلى الإسهام في بعض تمثيليات يؤلفها ويخرجها، وكانت من صميم الأمجاد العربية والتاريخ العربي والمفاخر العربية والإسلامية، وعرفنا عيسى خليل صباغ في جدة لسنين طويلة عريضة في السفارة الأمريكية، وكانت له جولات وصولات مع كيسنجر، لأن الملك فيصل يرحمه الله كان يثق بعروبته ووطنيته. ولو كتب نصف ما يعرف لكتب مجلداً يباع في الأسواق فاستفاد منه العرب في معرفة الالتحام الأمريكي الصليبي.

- وأختتم كلمتي بالحديث عن الاستراتيجية اليهودية العالمية، وهي العمل على قيام حرب عالمية ثالثة بين المسلمين والمسيحيين. وكذلك فاليهود يهدفون إلى تحطيم كل الجسور بين هذين المعتقدين، فكلما ذهب معروف الدواليبي ومعه رجال الدين المسلمين إلى الفاتيكان أو إلى أية ندوة إسلامية مسيحية يرسل اليهود عشرات من رجالاتهم مثل معروف الدواليبي، لهدم كل الجسور التي يتم التوصل إليها بين المسلمين والمسيحيين. ولست الآن بصدد ما ينبغي عمله إزاء هذه الاستراتيجية اليهودية ولن أستشهد بما قام به الفيلسوف الجارودي أو الدكتور مهدي بن عبود، أو الدكتور محمد مهدي، ولكن سأستشهد بما كتبه في جريدة الشرق الأوسط الأربعاء الماضي المستشرق الغربي الجنرال المتقاعد بيير روسو، وهو الخبير بشؤون العالم العربي: إن الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية تحالفتا على مواجهة خطر التهديد الذي تحمله المادية الحديثة، كما أكد الجنرال روسو أن المهاجرين المسلمين لا يشكلون خطراً على الغرب.

- وأشار المذكور إلى ما قاله البابا بولس السادس في إستنبول في يوليو (تموز) سنة ١٩٦٧م، وأكده من أن جميع الذين يعبدون الإله الواحد مدعوون إلى تطبيق شريعة العدل والسلام على الأرض.

وألمح إلى تصريحات البابا يوحنا بولس الثاني بعد سنوات، الذي خاطب المسلمين في الفلبين عام ١٩٨٢ قائلاً وهذا مهم جداً جداً في نظري: إن العالم في حاجة لأن يرى تعايشاً يظلله الإخاء بين المسيحيين والمسلمين. والسلام عليكم.

((كلمة الأستاذ عزيز ضياء))

ثم أعطيت الكلمة للأديب الكبير الأستاذ عزيز ضياء فقال:

- أولاً أسعد الله مساءك بالمسرات يا أخ عيسى فقد دخلت وكنت تتحدث ولم يتح لي أن أسلم عليك وأن أهنئك بسلامة الوصول، وأن أرحب بك في هذا المكان أو في هذه الندوة العامرة التي أتاحها لنا الأخ الصديق أو الابن الصديق عبد المقصود. ثم كما تحدث الأستاذ عبد الله عمر بلخير والأستاذ محمد حسين زيدان، معرفتي الشخصية بالأستاذ عيسى خليل صباغ ترجع إلى أيام الحرب فعلاً، إلى الحرب العالمية الثانية عندما أتيح لنا أن نشتري جهازاً للراديو بالبطارية وأن نحرص على الاستماع ليونس بحري، كما ذكر الأستاذ عبد الله عمر بلخير، لأننا كنا متحمسين فعلاً لألمانيا ولهتلر، وما يزال شاربي يقلد هتلر حتى اليوم، وما أزال مقتنعاً بأنه لو انتصر لما واجهنا الكثير من الكوارث التي نواجهها منذ ثلاثة عقود حتى اليوم.

- وعندما أتيح لي أن أعلم أن الأستاذ عيسى خليل صباغ يعمل في السفارة الأمريكية توثقت بيني وبينه الصلة، ودارت بيني وبينه أحاديث طويلة عن قضية فلسطين، وعن قضية العرب، وربما كان أعمق هذه الأحاديث عندما كان سفير الولايات المتحدة في المملكة العربية السعودية هو المستر إيكنز، وأود أن أستشهد بالأستاذ عيسى خليل صباغ على ما يكنه إيكنز بالذات للقضية العربية ولقضيتنا مع اليهود، أو مع إسرائيل من مشاعر فيها كثير من العقل والتعقل. ولعل الأستاذ شكيب الأموي يذكر الآن أنه أعطاني المحاضرة التي ألقاها في هونولولو عن المواجهة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية، ولم يغفل فيها الحديث أيضاً عن أخطار هذه المواجهة، وما يمكن أن تسفر عنه بالنسبة لقضيتنا مع اليهود.

- الأستاذ عيسى خليل صباغ في هذه الليلة شبع كلاماً ومديحاً وإطراءً، ولعله يتواضع فيقول: إننا قد أكثرنا عليه وأن الذين مدحوه وأطروه قد أكثروا عليه، ولذلك أحب أن أخرج من هذه الأجواء، أجواء الإطراء والثناء إلى سؤال أعتقد أن فيه شيئاً من الإحراج، ولكني معني بالموضوع في حياتي وحياة بلادي وحياة أبنائي وإخوة هذه الأرض. والموضوع الذي أنا معني به هو الانتماء إلى الأرض.

- منذ بضع سنوات زرت هونولولو وقابلت أحد سكانها، كانت سحنته لا تدل على أنه أمريكي أبداً، ولغته إنجليزية جيدة، لكن فيها اللكنة الماليزية أو الجاوية. فقلت له ذات مرة: أنت ابن هذه البقعة التي هي "هاواي". ولكن تقول أنك أمريكي، فأريد أن أسألك لو أنك طلبت للقتال ضد ماليزيا وضد المناطق التي يعود إليها عنصرك في صفوف أمريكا، وخيرت بين أن تقاتل مع أحد الصفين فمع أي الصفين تقاتل وأنت ابن هذه الأرض من جهة، ودماؤك من تلك الأرض وهي بعيدة عن أمريكا من جهة أخرى؟ فاستغربت كثيراً عندما قال أنا أقاتل مع أمريكا ضد أي بلد آخر، وأقف إلى جانب الأمريكي بسلاحي وبدمي، وتضحيتي وفدائي وكل شيء. هنا القضية وأعني قضية الانتماء أثارت عندي الكثير من الأسئلة، كيف استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن ترسخ هذا الانتماء في هذه القارة الكبيرة، بحيث يظل كل واحد من سكانها يشعر بأنه أمريكي بالرغم من أن عرفه أو جنسه أو أصوله، أو حتى لغته، لا تمت لأمريكا، أو لا تمت للأرض الأمريكية؟ هنا تأتي مشكلة الانتماء إلى الأرض، هل هو انتماء إلى الأرض؟ أو انتماء إلى النظام؟ أم انتماء إلى الحياة؟ ومن هذا المنطلق أود أن ندخل في شيء من النقاش، وأن نسمع من الأستاذ عيسى خليل صباغ شيئاً في الموضوع، لأنني أعرف أنه عربي صميم، وأنه يعيش العروبة في حياته وحتى إن كان في أمريكا أو كان يعيش في أي بلد آخر، يعيشها بتقاليدها وبلغتها وأحلامها وتطلعاتها وعدائها للصهيونية، أو عدائها لإسرائيل. كل هذا فكيف نستطيع أن نفهم انتماء الأمريكي إلى أمريكا بهذا العزم وبهذا الإصرار، وكيف استطاعت أمريكا أن تنمي هذا الانتماء في نفوس هذه الملايين من الأمريكيين؟ ذلك سؤال أظن أنه يستحق أن يطرح وربما يتكرم الأستاذ عيسى خليل صباغ في أن يقول في الموضوع.

((رد الأستاذ عيسى خليل صباغ

على سؤال الأستاذ عزيز ضياء))

أجاب الأستاذ عيسى خليل صباغ على سؤال الأستاذ عزيز ضياء بقوله:

- شكراً أستاذنا عزيز.. هذا موضوع في الواقع يستأهل أن يوضع فيه أكثر من كتاب.. الانتماء إلى أمريكا في البداية كان يعود إلى جماعات هاجرت إلى أمريكا هرباً من شيءٍ ما في بلادها الأصلية، أو طلبت مجالات أوسع للارتزاق، أو نكاية بمن كانوا يحاربونها في تلك المجتمعات الأصلية. على سبيل المثال الإيرلنديون العنصر الإيرلندي، هاجر معظمه إلى الولايات المتحدة هرباً مما يسمى بمجاعات البطاطس. فقد تعرضت إيرلندا لمجاعة قاتلة، والإيرلنديون يحبون البطاطس، وبالنسبة إليهم تعتبر

البطاطس مثل الخبز عندنا فنزحوا إلى الولايات المتحدة، وبعضهم هرب مما سموه الاضطهاد الديني الكاثوليكي في مجتمعات بروتستنتية أو اضطهاد بروتستنتي في مجتمعات كاثوليكية.

- والملخص أن هؤلاء الذين قصدوا أمريكا كانوا يرمون إلى هدف معين يتماشى مع مصالحهم الشخصية أو تطلعاتهم الفردية.. أمريكا كما تعلمون عبارة عن ٥٠ ولاية، وسكانها الأوائل يسمون أجداد الولايات المتحدة الأمريكية، وهم واضعو دستور الولايات المتحدة الأمريكية وقد كانوا حريصين حينئذٍ إلى التطلع للأمام مسافة بعيدة، إذ كانوا يرمون إلى إقصاء اليد البريطانية عنهم، فحاربوا واستقلوا واللغة الإنجليزية هي لغة البلاد رغم مرور فترة لم يكن الإنجليز أو البريطانيون أو الناطقون باللغة الإنجليزية هم الأكثرية فيها ولكنهم اتفقوا على أن تصبح اللغة الإنجليزية هي لغة البلاد نظراً لتضارب اللغات الأخرى التي ينتمي إليها فرقاء أصغر حجماً، كل على انفراد من حجم السكان البريطانيين أصلاً.

- يكون من المبالغة إن نقول أن وسائل الإعلام هي التي ألبت الأمريكيين أو رصتهم في صف واحد، ولكن لوسائل الإعلام حتى لتلك الصحف القديمة المتواضعة فضل قدرة الانصهار، فأنت الآن خصوصاً في هذه الأيام إذا ذهبت إلى أية بقعة من الولايات المتحدة لوجدت التشابه التام بين ولاياتها في الشوارع والنظام، وإضاءة الأنوار، والبوليس، يعني ما ينطبق على مدينة واحدة ينطبق على معظم المدن الأخرى، وحتى الضيع كما يسمونها في لبنان.

- أمريكا لم تنزل إلى ساحة العالم بالمعنى الصادق إلا بعد الحرب العالمية الثانية، أمريكا كانت مستعدة أن تنقوقع وتبقى حيث هي وأن تضرب حول نفسها سياجاً وتدير ظهرها إلى بقية الدنيا لأن فيها من خيرات الله. وهذا الحظ الأكبر لأمريكا ما يكفيها لعشرات السنين لو لم تر إنسياً من خارج أمريكا، لو لم تبع منضدة إلى خارج أمريكا. فهذه الثروة المادية هي الأساس الذي يقوم عليه المجتمع الأمريكي في الوقت الحاضر، ولذلك نجد وسائل الراحة للإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية متوفرة، ويسمون أمريكا بلد النساء والأطفال، أو جنة النساء والأطفال. وهذا إلى حد كبير صحيح.

- ولذلك أنا كشخص أمريكي الجنسية أتمنى لو عاد الأمريكيون إلى ٢٠٠ سنة أو أقل لعادوا إلى الإيمان بوجوب مخافة الله.. الإيمان بوجوب العمل حسب ضمير الإنسان، فحين يعي الإنسان وجود ضمير عنده فذلك نصف الطريق إلى الإيمان، بقوة الله، لكننا نجد المدنية المادية في الوقت الحاضر طاغية في المجتمع الأمريكي، وهذا في حد ذاته أشعل في صدور الكثيرين من الأمريكيين مشاعر وتطلعاً وتحركاً إلى العودة إلى تلك القيم القديمة التي توارثها أجدادهم عن أجدادهم... حسن التنشئة مخافة الله.. هذه أكررها القاعدة الذهبية التي يسمونها "عامل الآخرين بمثل ما تريدهم أن يعاملوك". هذه قاعدة ذهبية

بسيطة تنبع ليس من النصرانية فقط، بل من الأديان السماوية كلها. الحروب كانت عاملاً آخر تسبب في تجميع أو لم شعث الأمريكيين.

- حتى ولو كانوا على وشك أن يتشاجروا، طبيعة معروفة في الأسرة الواحدة فإذا كان الإخوان أو أبناء العم متشاجرين فإن تدخل طرف آخر ليس من الأسرة يستطيع أن يوفق بينهم ويسود التآخي بينهم من جديد. فأملنا بالله أن العرب إذا أدركوا هذه الأشياء وأخذوا بالتحليل للعوامل التي تؤثر في سلوك الأمريكي وبالتالي سلوك المجتمع الأمريكي، أن يتمكنوا من إنجاز الكثير من التطلعات، وأن يحققوا الكثير من النجاح، وعندي يقين بتحقق ذلك. والدكتور أنور ماجد عشقي سمعته عدة مرات يحدث عن الإسلام بطريقة لبقة حلوة، ولكن تتواءم مع مدارك الأمريكي، وبأسلوبه السهل المقنع ومنافشته لمن يحدثهم بالهدوء وبلباقته استطاع أن يجمع حوله الكثير من أبناء الشعب الأمريكي، وقدر على أن يسكب في قلوبهم حب الإسلام، وأن ينزع من أعماقهم الكراهية المترسبة بداخلها ضد العرب المسلمين، وبين لهم أن الإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق. وقد قلت للدكتور أنور عشقي لو هيأ الله مائتي شخص مثلك يدعون إلى الإسلام بهذا النهج الذي تسير عليه لتمكنوا خلال خمسين عاماً من أن يدخلوا ثلث سكان الولايات المتحدة في الإسلام.

((تعقيب معالي الشيخ عبد الله بلخير))

بعد ذلك عقب معالي الشيخ عبد الله بلخير فقال:

- إن السؤال الذي قدمه الأستاذ عزيز مهم جداً في الواقع، ويظهر أننا خرجنا عنه والمهم معرفة الأسباب التي تجعل المرء ينسلخ من عرقه ومن بيئته ومن قومه، ثم ينتمي إلى تلك الأرض البعيدة عنه، ويظهر أن هذا هو الذي أراده الأستاذ. وأنا والله أثني على رأيه، فما هي العوامل التي تجعل الإنسان عندما ينسلخ من بيئته ومن قوميته ومن أهله ثم يعتنق هذه القومية وهذه البيئة الأمريكية يخلص لها حتى أنه يموت لها ومن أجلها؟

((مداخلة الأستاذ عزيز ضياء))

بعد أن انتهى معالي الشيخ عبد الله بلخير من تعقيبه تدخل الأستاذ عزيز ضياء ليؤكد حقيقة سؤاله فقال:

- ما هو سر قدرة الولايات المتحدة الأمريكية بأنظمتها وبكيانها على ترسيخ حالة الانتماء في الإنسان الأمريكي إلى حد أنه يقاتل ويموت في سبيلها، بينما هو ليس أمريكياً أصيلاً لعدم وجود جنسية أمريكية.. فليس هناك عنصرية أمريكية.. بل عناصر كثيرة في أمريكا.. ما هو السر في هذا؟ أنت قلت

يا أستاذ عيسى الحروب والأنظمة والدستور إلى آخره.. لكن لا بد أن هناك سراً آخر.. لا بد أنك تعرفه.

((إجابة المحتفى به))

أجاب الأستاذ عيسى صباغ قائلاً:

- السر بسيط.. يستشف من حقيقة، وهي أن المهاجرين الأوائل أو الذين يسمونهم الجيل الأول من المهاجرين إلى أمريكا في الوقت الحاضر بصفة خاصة لم يصلوا إلى عمق هذا الشعور الذي وصفه معالي الشيخ بلخير والأستاذ عزيز ضياء، لأنهم يظلون مرتبطين بأهليهم وأوطانهم الأصلية، ولكن الأجيال المتتابعة تبدأ في البعد والاغتراب عن أوطانهم وأجدادهم ولغتهم، بحيث أن الجيل الثالث أو الرابع لا يكاد يفقه عن أصوله شيئاً.

- إن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر قارة طويلة عريضة، تحتاج إلى حياة بكاملها كي يتعرف الإنسان فيها على الولايات الخمسين، وفلما يعرف الأمريكي الواحد كل الولايات الخمسين، فلذلك لما صدر كتاب الجذور منذ سنوات تعلق به الأفارقة الأمريكيون الذين ليسوا من أصل أمريكي. فقد جاء في أحد فصول الكتاب أن شخصاً كان مستعبداً، وتذكر أن جده كان من غرب أفريقيا اسمه يوسف، ويوسف اسم عربي يدل على أن جده كان مسلماً أو جاء من بلد المسلمين من موريتانيا أو غيرها، وفي الوقت الحاضر يوجد اهتمام للرجوع إلى الأصل. أما الكلمة التي استعملها الشيخ عبد الله بلخير، وهي أن ينسلخ المرء الذي يحصل على الجنسية الأمريكية عن جنسيته، فهذا يمكن أن ينطبق على الجيل الثالث أو الرابع أو الخامس. ولقد سئلت كثيراً عما إذا كنت أمريكياً أصيلاً؟ فأجيب السائلين: إذا كنتم تقصدون بكلمة الأصيل الهندي الأحمر، فأنا لست أمريكياً أصيلاً، لأن الأمريكي الأصيل الوحيد الذي يقدر أن يقول أنه صاحب الأرض وصاحب التربة، هو الهندي الأمريكي، أما غيره فقد جاء من مختلف بقاع الأرض.

- وذات مرة وصفت المجتمع الأمريكي قبل أن أستشف أدرانه بأنه عبارة عن جداول من مختلف الثقافات والمجتمعات، تسكب في بحيرة طويلة عريضة هي الولايات المتحدة الأمريكية.

عندئذ سأل الأستاذ عزيز ضياء المحتفى به عن جيل من الناس ذهبوا إلى أمريكا منذ سبع أو ثمان سنوات، ثم أخذوا الجنسية الأمريكية، وخضعوا بعد ذلك لعمليات غسل أدمغة، تقوم بها جهات أو دوائر أو مصالح معينة في الحكومة الأمريكية، بحيث يصبح هذا المهاجر باذلاً ماله وروحه ودمه لأمريكا، مع أن هجرته إلى تلك الأرض حديثة عهد قد لا تزيد على بضع سنوات.

فرد الأستاذ الصباغ بقوله:

- أنا مستغرب جداً من سماع هذا، فليس هناك ما يمكن تسميته غسل أدمغة، ولكن فيه حب وولاء، ويقوى هذا الحب وهذا الولاء عند الأجيال المتتابعة نتيجة البرامج التي يتلقاها الأطفال منذ نعومة أظفارهم والتي تعطى للجميع دون تفرقة ويشبون عليها، ولم يقصد من تلك البرامج غسل الأدمغة إلا من وجهة نظر العرب إليها، ولكن يمكن أن تسعى هذه البرامج إلى صقل أو تنظيف أدمغة كانت محتارة ومبلبلة من ثقافات أخرى. وعلى أية حال فإن الخطوب والمصائب دائماً تشد أبناء البلد الواحد وتزيد من ترابطهم للوقوف صفاً واحداً ضد الأخطار التي تحيق بهم.

((كلمة الأستاذ عبد الكريم نيازي))

ثم أعطيت الكلمة للأستاذ عبد الكريم نيازي فقال:

- بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.. في الحقيقة إننا استمتعنا هذه الليلة بهذا الحديث القيم والدعائي عن الولايات المتحدة الأمريكية، ونحن نتلظى بويلاتها التي تفتك بالمجتمعات العربية والمجتمعات الإسلامية. وكنت أتوقع أن أسمع بصراحة من الأستاذ عيسى خليل شرحاً أو تحليلاً لكثير من المواقف التي كان وراءها كيسنجر، لاسيما وأنني تعودت في الأستاذ عيسى خليل صباغ أن يكون صريحاً في كل ما قرأته له في الصحف أو المجلات، أوفي بعض النشرات التي تصدر في الولايات المتحدة أو في بريطانيا.

- وإذا كان كيسنجر قد تعلم بعض الأمثال العربية الفصيحة أو العامية فإنه ترك لنا أزمة كبيرة في الشرق الأوسط لا نستطيع أن نتخلص منها.

- والذين عمل لهم غسيل دماغ ليسوا هم الذين تجنسوا بالجنسية الأمريكية، ولكنهم الذين يدافعون عن الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تقتل المئات والألوف من الأبرياء في لبنان، وتقتل الكثير من المسلمين في مختلف الدول الإفريقية وفي مختلف الدول العربية. السؤال الذي أريد أن أسأله: لماذا نحن كأمة عربية نترك مواقفنا الإيجابية التي يجب أن نقف أمامها بصمود ونشرحها، ونلجأ إلى طريق المجاملات السياسية رغم أن هذا المنهج قد يعود بالضرر الكبير على واقعنا العربي في الأمة العربية، ويأتي بنتائج مؤسفة؟ ولماذا يتذبذب الموقف العربي؟ وما الذي تريده الولايات المتحدة من الأمة العربية والإسلامية؟ فالعرب خاصة والمسلمون عامة باسطو أيديهم لها داعين إلى السلام، ولكنها ما تزال تمد أعداءهم بكل الوسائل للقضاء عليهم رغم ما قدموه من ألوف القتلى في فلسطين ولبنان ومصر وغيرها من البلدان الإسلامية.

- هذا ما أردت أن أوضحه، وأرجو أن تعذروني. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعد أن انتهى الأستاذ عبد الكريم من إلقاء كلمته ألقى الأستاذ عبد المقصود خوجه كلمة مقتضبة ليخفف من غلواء الأستاذ نيازي السياسية، وليبين له أن الأمسيات الأدبية تختلف كثيراً عن المعارك السياسية فقال:

- نحن هنا في ندوة أدبية، والمكان للجميع، والواقع أن هذه الجلسات أو الندوات لا تهتم بالحديث عن الشؤون السياسية وما تفرزه في العالم، وإنما ينصب اهتمامها بالحديث عن الذكريات والمواقف، والأدب والشعر والصحافة، وكل ما من شأنه تثقيف عقل المستمع والمرتاد لها، أما السياسة فليس لنا شأن بها في هذه الأمسيات، ونحن بعيدون عنها كل البعد. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تأييد أحد الحاضرين لما قاله الأستاذ عبد المقصود خوجه حيث قال:

- بالإضافة لما ذكره الأستاذ عبد المقصود خوجه فإني أود أن أسأل الأستاذ النيازي ما هي مناسبة هذه المحاضرة السياسية لا سيما وأن المحتفى به في هذه الأمسية هو الأستاذ عيسى خليل صباغ وليس رونالد ريجان. ؟

((تعقيب الأستاذ عزيز ضياء على كلمة عبد الكريم نيازي))

وعلق على كلمة الأستاذ عبد الكريم نيازي أيضاً الأستاذ عزيز ضياء فقال:

- لو سمح لي الأستاذ عبد الكريم نيازي والحضور أيضاً أن أقول: إن ما أفاض فيه الأستاذ عيسى خليل صباغ عن الانتماء وعن قضايا الانتماء كان رداً على سؤال لي، ولم يكن للأستاذ صباغ أي غرض في إضفاء أي نوع من المديح أو الإطراء لأمريكا. ثم إن الموضوع في حد ذاته منافشة فكر وليست منافشة فكرة، وأنا آسف لطرح السؤال الذي قصدت من طرحه معرفة السر أو الأسباب التي تجعل الذين جمعتهم أمريكا من أقطار الأرض، ينتمون إليها بصدق ويحاربون في سبيلها، فهل هو مجرد الانتماء إلى الأرض أم أن هناك أسباباً أخرى؟ وكنت أتوقع وما أزال أن يستطيع الأستاذ عيسى خليل صباغ أن يعطينا فكرة تجهلها نحن، لأننا لم نعش في أمريكا ولم نعايش الأمريكيين، وليس في حديث الأستاذ صباغ وليس في حديثي وليس في حديث أي من الإخوان أية دعاية لأمريكا، أو انتقاد لها، أو استرضاء لها، أو أي شيء من هذا القبيل. ندوتنا كما قال الأستاذ عبد المقصود ليست سياسية وليست استثماراً للمواقف. والسلام عليكم.

((ختام الأمسية))

ثم يختتم الأستاذ حسين نجار الأمسية بالكلمة التالية:

- باسمكم جميعاً نرحب وفي نفس الوقت نأسف إن كان هناك ما يعكر صفو هذا اللقاء، إلا أن النية التي تسبق القول هي المعقل ووجود وحضور أستاذنا.. الأستاذ عيسى خليل صباغ، لم يكن

لنحرجه ولكن لنسلط الضوء على رحلته الطويلة سواء كانت مع المذياع أو مع الثقافة التي كانت شغله الشاغل، وأملنا أن تتاح له الفرصة بترجمة ذكرياته ورحلة عمله في الكتب التي ينوي إصدارها، ويعمل الآن على مراجعتها، وتنقيحها، وأن يمد الله في عمره، وأن يكون في مسيرته إثراء الفكر والوجدان العربي أينما كان وحيثما حل.

- ومرةً أخرى نشكره على هذه الفرصة التي أتاحها لنا جميعاً، ونرجو أن تتكرر هذه اللقاءات في مقتبل الأيام، وشكراً لكم جميعاً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

***